منطقة الأوراس في تقارير الجنرال بول شاريير

PAUL CHERRIERE

الفترة 01 نوفمبر إلى 31 ديسمبر 1954

من خلال كتاب:

Jean–Charles JAUFFERT, La guerre d'Algérie par les documents: Les portes de la guerre -

د/ ليـــلى تيتـــة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جـامعة بـاتنة 1

ملخص:

يتناول هذا المقال بالدراسة واقع منطقة الأوراس خلال الفترة 01 نوفمبر إلى 31 ديسمبر 1954 من خلال نظرة نقدية في ثلاث تقارير أعدها الجنرال بول شاريير القائد العام للقوات المسلحة في الناحية العسكرية العاشرة (الجزائر) عن تطور الأوضاع بالمنطقة بعد العمليات العسكرية الأولى المعلنة عن تفجير الثورة التحريرية.

Résumé :

Cet article s'intéresse à la situation générale dans la région des Aurès du 01er Novembre au 31 Décembre 1954 à partir d'une étude critique de trois rapports rédigés par le général Paul CHERRIERE commandant en chef des forces armées de la 10ème Région militaire (Algérie).

مـقدمـــة:

شهدت منطقة الأوراس كغيرها من مناطق القطر الجزائري انطلاق أولى العمليات العسكرية ليلة 31 أكتوبر إلى 01 نوفمبر 1954 معلنة اندلاع الثورة التحريرية الجزائرية. وعليه، تعتبر الثورة التحريرية المباركة خلال الفترة من 01

نوفمبر إلى 31 ديسمبر 1954 المجال الزمني الذي تم تحديده لهذه الدراسة. أما المجال المكاني لها فهو منطقة الأوراس بما عرفته من أحداث بداية من ليلة الفاتح من نوفمبر إلى 31 ديسمبر عكستها مختلف التقارير التي كان يرسلها الجنرال شاريير إلى المهتمين بالأمر. وبذلك، وللإلمام بمختلف عناصر هذا الموضوع، أرى أنه من الضروري طرح العديد من الأسئلة ومحاولة الإجابة عنها لعل من أهمها:

- ما الحدود الجغرافية لمنطقة الأوراس المجال الجغرافي لهذه الدراسة ؟.
- ما العمليات التي حدثت بها في الليلة من 31 أكتوبر إلى 01 نوفمبر 1954 وما كان وقعها؟.
- ما هي الأسباب التي جعلت القيادات المدنية والعسكرية الفرنسية تولي المنطقة اهتماما خاصا؟.
- من هو الجنرال شاريير الشخصية التي تهتم الدراسة بتحليل تقاريره؟ وما علاقته بالجزائر بصفة عامة وبالمنطقة بصفة خاصة؟.
- أي التقارير تتناولها هذه الدراسة وعلى أي أساس تم انتقاؤها وما مصدرها؟.
- ما فحواها وما الذي عكسته؟
- ما الذي يمكنني أن أقوله عنها إذا ما حاولت إجراء محاولة تقييميه لما حوته؟

وعليه، سأحاول معالجة الموضوع على النحو التالي:

- أولا: التحديد الجغرافي لمنطقة الأوراس.
- ثانيا: العمليات العسكرية بمنطقة الأوراس ليلة 01 نوفمبر 1954.
- ثالثا: التعريف بالجنرال شاريير .
- رابعا: نظرة عامة عن التقارير موضوع الدراسة.
- خامسا: التقارير بالتفصيل مع محاولة تقييمها.

خـــاتمة.

أولا: التحديد الجغرافي لمنطقة الأوراس:

تمتد حدود منطقة الأوراس (المنطقة الأولى التاريخية في هذه الدراسة) من الناحية الغربية من مدينة برج بو عريريج إلى المسيلة بما في ذلك المدينة جنوبا. أما حدودها الشرقية فتمتد من سيدي صالح شمالا إلى نقرين جنوبا على الحدود التونسية. أما من الجهة الشمالية فتبدأ من مدينة برج بو عريريج إلى سطيف بما فيها المدينة ثم طريق السكة الحديدية كحدود بين منطقة الأوراس ومنطقة القبائل (المنطقة

التاريخية الثالثة). ومن سطيف إلى العلمة إلى أولاد رحمون فسيقوس، قصر الصبيحي، سدراته ثم مداوروش كحدود مع الشمال القسنطيني وسوق أهراس . أما حدودها من الناحية الجنوبية فتمتد من مدينة المسيلة غربا عبر شط الحضنة، بريكة، بيطام، تيلاطو، معافة ، جبل سيدي عقبة، عين الناقة، سيدي خليل ، خنقة سيدي ناجـي، زريبة الواد، بونقار بوقشة، جنوب نقرين بالحدود التونسية إضافة إلى حدود الولاية السادسة التي أنشأت سنة 1958. قبلها ، كانت الأوراس تمتد جنوبا إلى ليبيا والنيجر[1].

ثانيا: العمليات العسكرية بمنطقة الأوراس ليلة 01 نوفمبر 1954

بإعلان الثورة التحريرية المباركة في الفاتح من نوفمبر 1954، كان مصطفى بن بولعيد هو قائد المنطقة يساعده كل من شيحاني بشير، عاجل عجول، مصطفى بوسته، عزوزي مدور...[2].

قسم بن بولعيد المنطقة على النحو التالي:

- ناحية أريس وقائدها عزوزي مدور وقد جعل تحت إمرته 160 مجاهدا.
- ناحية عين القصر وقائدها الطاهر نويشي وقد جعل تحت إمرته 144 مجاهدا.
- ناحية خنشلة وقائدها عباس لغرور وقد جعل تحت إمرته 42 مجاهدا.
- ناحية عين مليلة وقائدها حاجي بشير وقد جعل تحت إمرته 29 مجاهدا.
- ناحية بريكة وقائدها بن بالة محمد الشريف وقد جعل تحت إمرته 12 مجاهدا[3].

وعليه، تقدر جل المصادر عدد المجاهدين بالمنطقة ليلة الفاتح من نوفمبر بحوالي 350 إلى 400 مجاهد[4] قسموا على خمس وعشرين مجموعة [5].

وبذلك فقد عرفت المنطقة كغيرها من مناطق القطر الجزائري انطلاق أولى العمليات العسكرية ليلة 31 أكتوبر إلى الفاتح من نوفمبر 1954 والمعلنة عن اندلاع الثورة التحريرية الجزائرية والتي بلغت في المجموع حوالي 43 هجوما.

أما إذا جئنا إلى عقد مقارنة بين عدد هذه العمليات والعمليات الباقية عبر كامل التراب الوطني فسنجد أنه من بين الثمـانيـن عملية إجمالا التي نفذت عبر كامل التراب الوطني، وزعت السبع والثلاثون عملية الباقية على النحو التالي:

- عمليتان بالشمال القسنطيني (المنطقة الثانية) دون تسجيل لقتلى مع وجود جريح واحد.
- 14 عملية بالقبائل (المنطقة الثالثة) بقتيلين وجريح واحد.
- 07 بالوسط الشمالي (المنطقة الرابعة) دون قتلى أو جرحى.

- 14 بالغرب الوهراني (المنطقة الخامسة) بقتيلين وثلاثة جرحى.

وبذلك، فقد شهدت منطقة الأوراس تنفيذ العدد الأكبر من العمليات وتسجيل العدد الأكبر من الضحايا في صفوف الأوروبيين (06 قتلى و 06 جرحى)، إضافة إلى تهديد من بقي منهم على قيد الحياة عن طريق محاصرة الأماكن المتمركزين بها كتكوت وفم الطوب، وهي الأمور – إضافة إلى غيرها – التي جعلت السلطات الفرنسية بشقيها المدني والعسكري تولي الأهمية الكبرى للعمل على إخماد الثورة بالمنطقة. وبذلك، عكست مختلف التقارير التي كانت ترد إلى العاصمة الباريسية هذا الاهتمام ومن بين تلك التقارير كان اختياري لتقارير الجنرال شاربير في الفترة من 01 نوفمبر 1954 إلى 31 ديسمبر 1954 فمن هو هذا الأخير؟

ثالثا: التعريف بالجنرال شاريــير:

هو الجنرال بول شاربير قائد من القادة العسكريين الفرنسيين، عرف عنه بأنه قد كان رجلا فاتر الهمة طويل القامة، ضخم الجثة. كان يطلق عليه وصف شاربير البابار Babar Cherrière[6] عين (بعد استقدامه من ألمانيا) من طرف وزير الدفاع الوطني والقوات المسلحة الفرنسية بمنصب جنرال لمختلف الفيالق العسكرية Général de Corps d'Armée بالناحية العسكرية العاشرة[7] لفرنسا (الجزائر) في الفترة من 24 سبتمبر 1954 إلى غاية 02 جويلية 1954 خلفا للجنرال جون كاليس Jean CALLIES الذي أمسك بهذه المهام في الفترة من 29 ماي 1950 إلى 23 سبتمبر 1954[8]. وعليه، يعتبر الجنرال بول شاربير من تاريخ تعيينه بالجزائر القائد العام للقوات المسلحة[9] بالناحية العسكرية العاشرة والقائد العسكري لها، يعمل تحت إمرة وزير الدفاع الوطني والقوات المسلحة الفرنسية ويتعاون مع الحاكم العام للجزائر ويخضع لسلطته[10] .

عاصر فترة تولي بول شاربير لهذا المنصب – وفي فترة الدراسة – كلا من[11] :

- بيار ماناديس فرانس Pierre Mendès France رئيس للحكومة الفرنسية إلى غاية 06 فيفري 1955.

- فرانسوا ميتران François MITTERAND وزيرا للداخلية.

جاك شوفالييه Jack CHEVALIER سكرتير الدولة للحرب.

ماري بيار كونيغ Marie Pierre KOENIG وزيرا للدفاع في الفترة جوان 1954 – فيفري 1955.

جون فيجور Jean VAUJOUR رئيسا للأمن بالجزائر منذ 1953.

أما المساعدون لهؤلاء بالحيز الجغرافي للمنطقة موضوع الدراسة فهم:

- بيار ديبـيش Pierre DUPUCH محافظ مقاطعة قسنطينة وبالتالي كل الشرق الجزائري والذي وضع فيه ليونار كل ثقته والذي لم يكن في نفس الوقت على وفاق دائم مع شاريير.
- جون ديليبلانك Jean DELEPLANQUE نائبا للمحافظ بمدينة باتنـة.

أما عن التشكيلة العسكرية بالجزائر وبمكان الدراسة فتضم :

- بول شاريير القائد العام للقوات المسلحة بالجزائر.
- الجنرال سبيلمان SPILLMANN قائد ناحية قسنطينة العسكرية الموازية للناحية المدنية بداية من 09 أكتوبر 1954 والذي لم يكن هو الآخر على علاقة حسنة مع شاريير منذ 1946 [12].
- الكومندان بلانش BLANCHE قائدا لموقع باتـنة .

هذا إذا عن التعريف بالجنرال شاريير ومن قاسمه المهام بفرنسا والجزائر عامة ومنطقة الأوراس خاصة. فماذا بعد هذا عن التقارير؟.

رابعا: نظرة عامة عن التقارير موضوع الدراسة [13]

لتنفيذ هذه الدراسة ، تقيدت بتحليل ثلاث تقارير وردت من مكتب الجنرال شاريـير غطت الفترة من 01 جانفي 1954 إلى 31 ديسمبر 1954 مستلهما فيها معلوماته من قادة النواحي العسكرية الثلاث الجزائر قسنطينة ووهران إضافة إلى مصالح الشرطة والدرك. والحقيقة أن هذه التقارير هي تقارير تم نشرها في مجلد ضخم أعده الأستاذ جون شارل جوفري حوى كل ما استطاع الأستاذ بجامعة مونبولييه 03 رفقة عدد آخر من الباحثين جمعه من وثائق محفوظة بالمصلحة التاريخية للجيش البري S.H.A.T بفانسان من 1946 إلى 1954.

الوثيقة الأولى: عبارة عن تقرير محفوظ بالعلبة 1H1261 أعده مكتب الجنرال شاريير قائد الناحية العسكرية العاشرة أعاد نسخه النقيب (الكابتان) كورمون CORMONT بوصفه رئيسا للمكتب تحت الرقم CAB/S 164 وأمضى عليه .

حملت الوثيقة كعنوان لها: الحوادث التي حصلت بالجزائر في الأسبوع من 29 أكتوبر إلى 05 نوفمبر 1954. وقد وجهت بتاريخ 09 نوفمبر 1954 إلى عديد الشخصيات كان على رأسهم وزير الدفاع الوطني الفرنسي، سكرتير الدولة للحرب والحاكم العام بالجزائر وردت هذه الوثيقة الأولى في المجلد السابق ذكره في الصفحات من 729 إلى 730.

خصصت الوثيقة حوالي 25٪ من مساحتها للحديث عن منطقة الأوراس خلال هذه الفترة.

الوثيقة الثانية: أيضا عبارة عن تقرير محفوظ بالعلبة 1H3399 أعده المكتب الثاني لهيئـة الأركان للناحية العسكرية العاشرة تحت الرقم 1133/2 وممضي من طرف الجنرال شاربير قائد الناحية العسكرية العاشرة وقد أولى الجنرال مهمة نسخه إلى العقيد (الكولونيل) بورشي PORCHER نائب رئيس هيئة الأركان .

حمل التقرير كعنوان له: ملخص معلومات لشهر نوفمبر. وقد أرسل بتاريخ 24 ديسمبر 1954 إلى كل المدارس العسكرية الفرنسية بالجزائر والى القادة العسكريين بمختلف المناطق التي تتواجد بها القوات الفرنسية سواء كانت داخل الجزائر، في إفريقيا أو خارجها (الهند الصينية).

ورد هذا التقرير في الصفحات من 741 إلى 745 من المجلد، وقد كان الحديث عن منطقة الأوراس في صفحتين ونصف من مجموع الخمس صفحات من التقرير.

الوثيقة الثالثة تقرير آخر محفوظ بالعلبة 1H3399 أعده المكتب الثاني لهيئـة الأركان للناحية العسكرية العاشرة تحت الرقم 1114/2 ممضي من طرف الجنرال شاريـير قائد الناحية العسكرية العاشرة. وقد أولى مهمة نسخها أيضا إلى الكولونيل بورشي PORCHER نائب رئيس هيئة الأركان .

حمـل التقرير كعنوان له: نشرة معلومات: الوضعية في الجزائر من 01 إلى 10 ديسمبر 1954. أرسل بتاريخ 20 ديسمبر 1954 إلى جهة لم تحدد في المجلد .

ورد هذا التقرير في الصفحات من 751 إلى 752 من المجلد، وقد غطى الحديث عن منطقة الأوراس 15٪ من التقرير.

والملاحظة التي أود ذكرها ها هنا هي أنني قد حاولت ترتيب هذه الوثائق لا على أساس تاريخ إرسالها وإنما على أساس الفترات التي غطتها بالدراسة.

خامسا: التقــارير بالتفصــيل مع محاولة تقييـمها

التقرير الأول: وصف التقرير في بدايته العمليات العسكرية التي وقعت بمنطقة الأوراس خلال الفترة من 31 أكتوبر إلى الفاتح من نوفمبر 1954 ذاكرا أنها عمليات وقعت باليد المسلحة، مست أعمدة الهاتف، بعض البنايات العامة، بعض المؤسسات الخاصة الضخمة في المراكز المدنية. أما الوسائل المستخدمة فأسلحة من إنتاج محلي تنوعت بين أنابيب معدنية مليئة بالمتفجرات، علب مصبرات تحوي

بنـزين لها فتيل لإشعال النار. أما الحرائق الإجرامية (حسب تعبير صاحب التقرير)، فقد اشتعلت بصفة عامة في الجبال والمراكز الريفية باستخدام سوائل قابلة للاشتعال. ويضيف التقرير أن هجمات هؤلاء "المسلمين" (حسب تعبير صاحب التقرير دائما) قد كانت موجهة خاصة ضد مراكز الدرك والمؤسسات العسكرية. غير أن هذا لا ينفي مهاجمة بعض المزارع وإطلاق النار على بعض السيارات وإيقافها وقتل من فيها.

بالإضافة إلى الحديث عن العمليات العسكرية، يذكر التقرير عملية توزيع لمنشور عنوانه "نداء إلى الثورة" Appel à la Révolte وزع في بعض المراكز ممضيا من طرف "مجلس التحـرير الـوطني" Assemblée de la Libération Nationale وأن الهدوء – رغم عودته إلى كل المناطق التي شهدت العمليات – لم يعد إلى المنطقة الجبلية للأوراس أين واصلت مجموعات" الخارجين عن القانــون" (حسب تعبير صاحب التقرير) تنفيذ عمليات كبيرة ومركزة[14].

أما عن المشتبه فيهم ، فيذكر التقرير أن هناك وثائق تم العثور عليها بعد عملية تفتيشية ببـاتنة تثبت أن هناك تعاونا بين حزب الشعب الجزائري و "الفلاقـة".

الملاحظ إذا عن هذا التقريـر:

- أنه تحدث عن عمليات هجوم باليد المسلحة وعمليات تخريبية مست المنطقة باستخدام عدد متنوع من الوسائل وهو ما سيمثل الحقيقة بعينها لو لم ينظر لهذه العمليات نظرة الإجرام والتخريب من قبل السلطات الفرنسية.

- أنه لم يعط العدد الحقيقي للعمليات بالمنطقة.

- أنه ذكر أن منفذيها هم المسلمون، الفلاقة، الخارجون عن القانون، وهي المصطلحات التي كثيرا ما تداولتها السلطات الاستعمارية الفرنسية في وصف الثوار خلال هذه الفترة.

- أنه تحدث عن توزيع منشور مع أن صاحبه ذكر خطأ: مجلس التحرير الوطني بدل جيش التحرير الوطني، ونتساءل هنا هل أن ذلك كان سهـوا أم أن ذلك كان بغرض تقـزيم معنى كلمـة جيش وحصرها في مجلس. كما نتساءل أيضا عن عنوان المنشور الذي ذكره التقرير: هل أنه عنوان استلهم من فحوى المنشور أم أنه عنوان المنشور ذاته مع العلم أن المنشور الذي وزع ليلة الفاتح من نوفمبر وباسم جيش التحرير الوطني لم يحو أي عنوان بل جاء في صيغة نداء .

- أنه تحدث عن وثائق تم اكتشافها بـباتنة لم يتم الحديث عن مصدرها.

- أنه حصر الثوار في أشخاص من حزب الشعب وتفادى الحديث عن جبهة التحرير الوطني التي أضحت واقعا أملته ظروف بداية الثورة والأيام الخمسة التي تلتها.
- أن هذا التقرير قد جاء عقب اجتماع عقد ببـاتنة يوم 02 نوفمبر 1954 ضم كلا من جاك شوفالييه، شاربير، سبيلمان، ديبيش، ديليبلانك، بلانش إضافة إلى روني مايير نائبا عن قسنطينة تناقشت فيه الأطراف بخصوص الوضع وتم الخروج منه بقرار ضرورة وضع حد لـحالة "العصيان" ومع ذلك، لم يشر التقرير لا لهذا اللقاء ولا للإجراءات المتخذة مع أنه موجه إلى السلطات في باريس[15].
- أنه عكس حالة عدم الفهم التي كان يعيشها شاربير في هذه الفترة والتي أفصح عنها عندما قال: "يرجح أننا بصدد إنتفاضة قبلية تشبه ما واجهناه طيلة تاريخنا في شمال إفريقيا. والأرجح أننا لا نحتاج سوى لقوات محدودة من أجل ردع القبائل المتمردة. ولسنا مضطرين لدعم مادي كبير من الخارج"[16]. في هذه الفترة (نوفمبر 1954)، لم يكن لدى الجنرال سوى كتيبتي مظليين، ثلاث كتائب مشاة من الفرقة 11 وكتيبة تابعة للفرقة الأجنبية وسريتي مدرعات[17].
- إن هذا التقرير لم يتعرض للصعوبات التي واجهتها السلطات الفرنسية بالمنطقة من أجل فك الحصار على كل من أريس، تكوت، فم الطوب... حيث أضطر الجنرال سبيلمان إلى أن يأمر بلانش بالتوجه إلى هذه المناطق من أجل فك الحصار عنها بعدما تم الاستنجاد بالقوات المرابطة في سطيف (وحدة المشاة للمظليين) وبسكرة (الوحدات السينغالية) [18].

التقرير الثاني: كان تقريرا مفصلا نظرا لطول المدة التي يغطيها مقارنة بالأول وحجم المعلومات التي توفرت.

حوى التقرير العديد من المعلومات الإضافية إذا ما قورن بالتقرير الأول سواء من حيث الاستعداد لعمليات ليلة نوفمبر، العمليات، المسؤولون عنها، نتائجها، السياسة الفرنسية بالمنطقة طيلة شهر نوفمبر وكذا آثار هذه السياسة المنتهجة على سكان المنطقة، على "العصاة" (حسب تعبير صاحب التقرير) ليختم بتقييم عام للسياسة الفرنسية بالمنطقة.

أ- من حيث الاستعدادات:

ذكر التقرير أن الاستعدادات لهذه الـ "حركة الإرهابية المعممة" (دائما حسب تعبير صاحب التقرير) قد امتدت على مدار شهور وأنها قد تمت بعناية فائقة.

وقد كانت بالتعاون بين مناضلين من حزب الشعب، وبين المبعوثين التونسيين واللجنة الثورية للوحدة والعمل وقد كان التعاون كاملا بين هؤلاء[19].

ب- **من حيث العمليات**:

ذكر التقرير أنها وقعت في ليلة القديسين وقد ظهرت أكثر بمنطقة الأوراس والمدن الثلاث التي تحده: بسكرة، بـاتنة وخنشلة. وأن الهدف الأساسي "للإرهابيين" (دائما حسب تعبير صاحب التقرير) في هذا اليوم كان المرتفعات الجبلية للأوراس وذلك لأنها تمثل ملجأ ملائما للم شمل عصابات المتمردين (حسب تعبير صاحب التقرير). وأن محاولة تشكيل أدغال أخرى وفي مناطق أخرى لم يكن لها أي هدف سوى تفكيك وتركيز قوات الأمن خارج منطقة الأوراس حيث أنهم (المتمردين) كانوا متأكدين من أن وحدات الجيش ستتوجه إلى الجنوب القسنطيني[20] حال بداية تنفيذ هذه العمليات.

ج- **من حيث المسؤولون عنها: (حسب تخمينات تعود إلى 10 نوفمبر 1954)**

ذكر التقرير أن العمليات من تنفيذ بعض الأفراد المنتمين إلى اللجنة الثورية للوحدة والعمل والذين يأخذون أوامرهم من القاهرة. شكل هؤلاء جماعة كبيرة لمتمردين (حسب تعبير صاحب التقرير) منظمين ومسلحين بشكل حسن تم تقدير عددهم في هذا التاريخ بحوالي 1500 شخص في الأوراس[21]. ضمت هذه الجماعة جزءا من سكان منطقة الأوراس الذين كانوا قد أعدوا لهذه العمليات منذ مدة من طرف مناضلين محليين في حزب الشعب – حركة انتصار الحريات الديمقراطية - للعمليات إضافة إلى بعض "العصابات القديمة" التي كانت تنشط بهذه المنطقة منذ مدة والتي استطاع "الإنفصاليون" (حسب تعبير صاحب التقرير) أن يكسبوها إلى صفهم بعدما أمدوها بالوسائل الملائمة[22] ولعل في هذا إشارة إلى قرين بلقاسم ومحمد صبايحي وجماعتهما.

د- من حيث نتائجــها:

ذكر التقرير أن من نتائج هذه "الحركة الإرهابية المعممة" انضمام عدد كبير من دواوير الأوراس إليها بداية من تاريخ 11 نوفمبر 1954، وقد بدا ذلك من خلال الدعم، التمويل، المراقبة والتعاطف الذي أبداه سكان المنطقة تجاهها. ومع ذلك، يرى صاحب التقرير أن هذا التعاطف مشكوك في أمره ذلك أنه سيتعرض للاهتزاز بمجرد بروز بوادر للإخفاق داخل هذه الحركة.

يتعرض التقرير أيضا إلى إعطاء أسماء للدواوير المنظمة بدءا من إيشمول فكيمل، زلاطو، ولجة، ششار، يابوس، شليا، تاوزيانت، ميلاغو، واد لبيوض (الواد لبيض)، ليخلص إلى نتيجة مفادها أن الدواوير الأكثر "تسمما" جراء هذه الحركة هي دواوير الوسط (الوسط الأوراسي)[23].

هـ- السياسة الفرنسية بالمنطقة:

جاءت السياسة الفرنسية بالمنطقة حسب الجنرال شاريير كنتيجة مباشرة لعملية "تمرد" دواوير الأوراس عن السلطة الفرنسية . ظهرت في بدايتها على شكل توسع في عمليات الجماعات المكلفة بحفظ الأمن.

جاء رد فعل "العصاة" في هذه الفترة على شكل عمليات تضليلية سعوا فيها إلى جلب الوحدات الفرنسية خارج تراب المنطقة. غير أن قوات حفظ الأمن تفطنت لذلك وتمكنت في الأوراس - وبداية من النصف الثاني من شهر نوفمبر - من إخلاء الساحة من قرين بلقاسم القائد الأسطوري وعصابته[24].

و- آثار السياسة الفرنسية على السكان:

لقد كان للسياسة الفرنسية بالمنطقة أثرٌ كبيرٌ على السكان إذ أدت إلى العودة المكرهة والمترددة لهم إلى حظيرة السلطة الفرنسية، والدليل على ذلك هو أن رؤساء ممثليات الدواوير الذين توافدوا على مكتب الإداري الخاص ببلدية الأوراس طمأنـــوه وأكدوا له الولاء والإخلاص من جانبهم إلى السلطة الفرنسية ويتعلق الأمر بدواوير زلاطو، غسيرة، إيشمول، واد الطاقة، يابوس أضف إلى ذلك شروع بعض الموظفين المسلمين بالإدارة الفرنسية في تقديم بعض الإفادات المساعدة للسلطات الاستعمارية ووضع الشعب نفسه تحت حماية قوات حفظ الأمن.

ز- أثارها على "العصاة":

لقد أدت العمليات العسكرية – حسب التقرير – بالجماعات المتمردة الأكثر أهمية (حوالي 400 شخص) إلى التقهقر إلى الجنوب والجنوب الشرقي لمرتفعات الأوراس كلاجئين (جبل برقة وجبل توبونـت) وقد حاول البعض منهم تسليم نفسه دون سلاح[25]. غير أن هذا النجاح المحقق يبقى دون نتيجة أمام صعوبة اختراق بعض المناطق من طرف قوات حفظ الأمن.

ح- تقييم للسياسة الفرنسية بالمنطقة:

في تقييمه لنتائج السياسة الفرنسية بالمنطقة، يرى الجنرال شاريير أنه – ورغم الولاء المعلن من قبل بعض سكان الأوراس للسلطات الفرنسية والذي جعلنا

نعتقد أنه بالإمكان القيام بعملية سريعة للتهدئة بالمنطقة – إلا أن الملاحظ أن النتائج قد كانت خيالية أكثر منها واقعية والسبب في ذلك يعود إلى أن الإدارة الفرنسية بقيت إلى نهاية شهر نوفمبر تتحكم بطريقة غير مرضية البتة في دواوير: إيشمول، يابوس، زلاطو، كيمل، الولجة، واد لبيوض (هكذا) وتاوزيانت ذلك أن هبة "المتمردين" بقيت كبيرة بهذه الدواوير أضف إلى أن السياسة الفرنسية لم تستطع كسب عقول سكان هذه الدواوير إليها. ويضيف التقرير أنه لا يمكن الحديث عن مناطق الأمان دون تأمين الجبال مكان تخزين الأسلحة[26].

الملاحظ إذا عن هذا التقرير:

- واصل هذا التقرير - على الرغم من تغطيته لشهر كامل من عمر الثورة - وصف عمليات ليلة 31 إلى 01 نوفمبر بـ "العمليات الإرهابية" و "الحركة الإرهابية" والمسؤولين عنها مفجري الثورة بالعصاة، الإرهابيين، العصابات المتمردين والإنفصاليين.

- سعى هذا التقرير – كالتقرير السابق – إلى عدم ذكر لا اسم جيش التحرير الوطني ولا جبهة التحرير الوطني مكتفيا بذكر أسماء حزب الشعب، اللجنة الثورية للوحدة والعمل، وهو ما يعني إنكاره لوجود الجيش والجبهة.

- نسب التقرير العمليات إلى حزب الشعب ولعل ذلك كان في محاولة تبريرية منه لموجة الاعتقالات التي طالت مناضلي الحزب إذ تقدر بعض المصادر عدد المعتقلين في الفترة من 07 إلى 08 نوفمبر بمقاطعة قسنطينة بحوالي 111 شخصاً لترتفع إلى 650 بعد ثلاثة أسابيع من ذلك[27]، كما نسبت العمليات أيضا إلى تونس والقاهرة في محاولة الغرض منها نسب ما يحدث إلى جهات خارجية.

- حاول التقرير الحط من قيمة العمليات بأن نسبها إلى عصابات قديمة كانت تنشط بالمنطقة في إشارة واضحة إلى قرين بلقاسم وجماعته والتي كانت تشكل مصدر قلق دائم للسلطات الاستعمارية قبيل الثورة .

- حاول التقرير أيضا الحط من قيمة عمليات أول نوفمبر بالمناطق الأخرى من التراب الوطني بـأن نسبها أيضا إلى "المتمردين" بالأوراس في محاولة لجلب قوات حفظ الأمن الإستعمارية خارج حدود المنطقة لكي لا تتمكن من إحكام سيطرتها على المنطقة وهو الأمر الذي يعكس حالة عدم الفهم لطبيعة الثورة التي وقع فيها الجنرال شاريير والتي أشرنا لها سابقا.

- حاول التقرير تبرير السياسة الفرنسية بالمنطقة بأن جعلها مشروعة ما دامت قد مست "عصابات من المتمردين" على السلطة الفرنسية والمعروف عن الجنرال شاربير في هذه الفترة أنه قال (كان ذلك في 10 نوفمبر 1954): "إن الأوراس يوشك أن يصبح الوكر القوي والأساسي للتمرد. ولذلك يصبح تطهير هذه المنطقة ضرورة حتمية"، وأنه قد حذر الحاكم العام للجزائر في 17 نوفمبر من خطورة الوضع مضيفا بالقول: "في الأوراس، الآن هي الحرب"[28]. والمعروف عن السلطات الفرنسية للمنطقة في هذه الفترة (والذين تم تحديد أسمائهم سابقا) هو أنهم كانوا قد طلبوا من الحاكم العام للجزائر أن يحصل لهم من وزير الداخلية فرانسوا ميتران على الموافقة بقنبلة دواويـر الأوراس "المتمردة" وهي الموافقة التي جاءت شريطة أن تعلم الدواوير بذلك وتنشأ مناطق أمان تأويها قبل الشروع في تنفيذ العملية ، وأن تسعى محكمة بـاتنة بعدها إلى محاكمة كل من يقدم دعما لوجستيكيا للـ "متمردين" بأن يحكم عليه بالسجن مدى الحياة [29]. وبذلك، رمي على دواوير الوسط (واد لبيض وواد عبدي خاصة) في 19 إلى 20 نوفمبر حوالي 50.000 منشور عن طريق الجو مكتوب بالعربية الفرنسية والأمازيغية دعي فيه السكان إلى إلتزام الهدوء والتخلي عن العصاة والهجرة إلى قرى آمنة [30].

هذا وتشير المصادر إلى أنه بعد توزيع هذا المنشور لم تلتحق بمناطق الأمان من دوار إيشمول مثلا سوى 280 أسرة من مجموع 1000 أغلب الملتحقين بها كانوا من الشيوخ والأطفال، وهو ما جعل الجنرال شاربير يمدد المدة عدة أيام أخرى و يسعى للحصول على قرار رسمي من اجتماع لمجلس الجمهورية الفرنسية بتاريخ 24 نوفمبر للشروع في ذلك. وعلى أساس ذلك ، وبعدما تم له مراده، أصدر الأمر إلى خمس كتائب من الجيش الاستعماري بمعاقبة " المنشقين"[31] فكانت عمليات التمشيط والقنبلة من طرف كتيبتين في خط تيمقاد - دوفانة وثلاث كتائب بمرتفعات الأودية وعمليات التجميع القصري لسكان دواوير إيشمول، يابوس، واد الطاقة، غسيرة، زلاطو، كيمل، في دوفانة في 27 نوفمبر لتنطلق بذلك سياسة عرض القوة - التي اتصف بها الجنرال شاربير دائما - تحت قيادة الجنرال ديكورنو DUCOURNEAU (الفرقة 25 طائـرات و18 مظليين).

- رغم السياسة التي اتبعتها فرنسا بالمنطقة والقضاء على القائد الأسطورة قرين بلقاسم ، يقر الجنرال شاربير بأن العمليات لم يكتب لها النجاح الكبير إذ تواصل عمل "المتمردين" الذين تقهقروا إلى مناطق أخرى، هذا وتشير عديد

المصادر إلى أن عدد المنطويين تحت صفوف جيش وجبهة التحرير قدر في هذه الفترة بنحو 30.000 من مجموع 200.000[32]. يضاف إلى ذلك أن المعروف عن الثورة بمنطقة الأوراس في هذه الفترة هي أنها قد سعت إلى التوسع أكثر لتمس مختلف أرجاء الأوراس خاصة بعد التعليمات التي تلقاها مفجروها بالمنطقة من طرف مصطفى بن بولعيد. وعليه، يمكننا ها هنا أن نقاسم شارل روبير أجرون رأيه عندما قال "إن التمشيط وعمليات القنبلة بالأوراس زادت في اشتعال النار بدل إخمادها"[33].

التقرير الثالث: خص فيه الجنرال بالحديث الصعوبات التي تواجه السياسة الفرنسية بالمنطقة خاصة بالجنوب الشرقي للأوراس أين تعرف المنطقة سهولة في عمل "العصابات" المتمردة العاملة بأرض غير مستوية ومشجرة، وهو الأمر الذي جعل عملية متابعتها من قبل الوحدات العاملة الحافظة للأمن أمرا صعبا. ومع ذلك يستدرك الجنرال الأمر ليقر بتحقيق القوات الفرنسية بالمنطقة لنتائج مرضية رغم قلة عمليات التصادم مع "المتمردين". ويضيف الجنرال بالقول أنه ما زال هناك بعض الجماعات "المتمردة" التي لم يتم القضاء عنها بعد وأنه ما زالت هناك العديد من قطع السلاح التي لا تزال مخبأة.

الملاحظ إذا عن هذا التقرير:

- لم يضف هذا التقرير أمرا جديدا عن التقرير السابق إذ واصل الحديث عن الصعوبات التي تواجه السياسة الفرنسية بالمنطقة والتي أرجعها خاصة إلى الطبيعة الجغرافية الصعبة للمنطقة والتي تعرقل عمل القوات.

- بالإضافة إلى ذلك ، أقر الجنرل شاريير في برقية أخرى تم ذكر أهم ما حوته في عديد المراجع من ذلك مثلا كتاب GROUSSARD A Georges بعنوان L'armée et ses drames في صفحتيه 205 و 206، أن سياسته في الأوراس قد فشلت في 28 ديسمبر 1954 ذلك أن نجاحها كان مرهونا بالإمدادات من المتروبول التي تأخرت في الوصول[34]. وعلى هذا الأساس يرى بعض المؤرخين أنه من الممكن أن تقارير الجنرال شاريير هي التي جعلت الحاكم العام ليونار يؤكد في لقاء له بباتنة مع السلطات المحلية في 21 جانفي 1955 بأن تصفية المنطقة والقضاء النهائي على التمرد يتطلبان شهوراً عدة بسبب ما يخلفه الميدان والمحيط من صعوبات متنوعة وكبيرة[35]. كما يذهب بعض القادة العسكريين الفرنسيين إلى القول إن التأخر في وصول الإمدادات العسكرية إلى الجنرال شاريير من المتروبول هي السبب الأساسي وراء فشل سياسة هذا الأخير في هذه الفترة بالمنطقة[36]. وعليه،

ومهما كان الأمر بين هذا وذاك، المهم أن الإمدادات العسكرية بدأت بعدها في الوصول وأن الجنرال شاريير شرع بداية من 22 جانفي 1954 في وضع مخطط ضخم للعمليات العسكرية الجديدة بالمنطقة.

خـاتمــة:

يبقى لنا في الختام إن نقول أن هذه التقارير هي مجرد عينة للطريقة التي كانت تنظر بها السلطات الإستعمارية للثورة بمنطقة الأوراس وبكل ربوع القطر وأن النظرة التي بدت هنا للجزائريين هي نظرة من زاوية نظام السلطة الإستعمارية الفرنسية الذي لن يعكس سوى المصلحة القومية الفرنسية.

الهوامش:

1- منظمة المجاهدين لولاية باتنة، أحداث الثورة التحريرية (الأوراس)، التقرير الجهوي للولاية الأولى، الملتقى الوطني الرابع لتسجيل أحداث الثورة من 1959/1/1 إلى 7/5/ 1962، 1987، ص (4- 5).

2- محمد الطاهر عزوي، واقع الثورة في الولاية الأولى بالأوراس في السنوات الأولى بين توحيد القيادة وتفككها، الثورة الجزائرية أحداث وتأملات، جمعية أول نوفمبر لتخليد وحماية مآثر الثورة في الأوراس، مطبعة عمار قرفي، باتنة، 1994، ص 55.

3 - جودي الأخضر بو الطمين ، لمحات من ثورة الجزائر، الطبعة الثانية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987، ص (3- 5)

4- أحسن بومالي، إستراتيجية الثورة الجزائرية في مرحلتها الأولى (1954- 1956)، المؤسسة الوطنية للاتصالات والنشر والإشهار، الجزائر، (ب.س.ط)، ص 80 .

5- Abdelmadjid MERDACI, Les Tamisseurs de sable : Aurès – Nememcha 1954 - 1962, Edition ANEP, Alger, 2001, p.13

6- Yves COURRIERE , La Guerre d'Algérie: Les Fils de la Toussaints, Edition Rahma, Alger, 1922, p. 213

7- عرفت الجزائر قبل تاريخ 08 سبتمبر 1944 بالناحية العسكرية 19

8 - Patrick EVENO et Jean PLANCHAIS, La guerre d'Algérie, Edition Laphomic, Alger, 1992, p. 200

9- خلفه في هذا المنصب كلا من :

هنري لوريلو Henri LORILLOT في الفترة من 03 جويلية 1955 إلى 11 نوفمبر 1956.
راوول سالان Raoul SALAN من 12 نوفمبر 1956 إلى 15 ديسمبر 1958.
موريس شال Maurice CHALLE في الفترة من 16 ديسمبر 1958 إلى 12 مارس 1960.
جون كريبان Jean CREPIN في الفترة من 13 مارس 1960 إلى 07 فيقري 1961.
فرناند جامبيز Fernand GAMBIEZ في الفترة من 08 فيفري إلى 12 جوان 1961.
شارل إيلوري Charles AILLERET من 13 جوان 1961 الى 25 أفريل 1962.
ميشال فوركي Michel FOURQUET من 26 أفريل 1962 إلى 03 جويلية 1962.

أنظر : Microsoft® Encarta® 2006 [CD]. Microsoft Corporation, 2005

10- محمد العربي سعودي، المؤسسات المركزية والمحلية في الجزائر: الولاية- البلدية (1516 – 1962)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2006، ص 146.

11- Yves COURRIERE, op.cit, pp. 212 - 229

12- في تفاصيل ذلك أنظر: Ibid , pp. 213 - 214

13- Jean –Charles JAUFFERET, La Guerre d'Algérie par les Documents: Les Portes de la Guerre:1946-1954, (Tome 02), S.H.A.T, Vincennes, 1998, pp 729-752

14 - Ibid, p.729.

15- Hassen Bachir- Cherif et Abdelmadjid MERDACI , LE 1 Novembre 1954 : La Nuit Rebelle , Edition OMP/La Tribune,2004, p.138.

16- خالد نزار، يوميات الحرب، الطبعة الأولى، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 2004، ص 28.

17- المرجع السابق، ص 28.

18- المرجع السابق، ص29.

19 - Jean –Charles JAUFFERET, op.cit,p.741.

20 - Ibid, p.742.

21- وهو رقم يفوق بكثير الرقم الذي قدمه جاك شوفالييه من باتنة في اليوم الثاني من الثورة أين قدر عددهم بحوالي 400 الى 450 شخص. أنظر:

Francis et Colette Jeanson, L'Algérie hors la loi, Edition OMP, Alger, (S.A.E), p.190.

22- Jean –Charles JAUFFERET, op.cit,p.743.

23- Ibid, p743.

24- كان ذلك في 29 نوفمبر 1954 أين كان أول تصادم حقيقي بين الطرفين ، تصادم دام عدة ساعات في أريس كان حصيلته أربع قتلى و07 جرحى من الجانب الفرنسي و23 شهيدا في الجانب الجزائري منهم قرين بلقاسم مع 18 سجينا

25 - Jean –Charles JAUFFERET, op.cit, p743.

26 - Ibid, p 743-744.

27 - Hassen Bachir CHERIF et Abdelmadjid MERDACI, op.cit, P137.

28 -Yves COURRIERE , op.cit, p. 437.

29 - Patrick KESSEL et Giovanni PIRELLI, Le Peuple Algérien et la Guerre (Lettres et Témoignages1954 – 1962), Edition François MASPERO, 1962, p. 42.

30- لعل من أهم ما جاء فيه: "نداء إلى السكان المسلمين: إن بعض المقلقين المدفوعين من جهات أجنبية أثاروا حوادث دامية في بلادنا وهم يتمركزون بصفة خاصة في منطقتكم ويعيشون على خيراتكم. إنهم يلزمونكم بمساعدتهم ويسعون إلى اقتياد رجالكم في مغامرات إجرامية. أيها المسلمون: إنكم لن تتبعوهم وستجمعون عاجلا قبل 20 نوفمبر الساعة 06 مساءا في مناطق الأمان التي ترشدكم إليها القوات الفرنسية الضاربة في منطقتكم بالاشتراك مع موظفي الإدارة والدواوين. أيها الرجال الذين خرجتم عن القانون بغير تفكير: إذا كنتم لم تقترفوا جرما يعاقبكم،

التحقوا حالا بمناطق الأمان مع أسلحتكم ولن يصيبكم أي أذى، وستنزل المصيبة على رؤوس العصاة ويسود السلام الفرنسي من جديد". أنظر: يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، دار البعث، قسنطينة، 1980، ص 369.

31- Francis et Cokkette JEANSON , op.cit, p 195.

32 - Ibid, p193.

33 - Charles – Robert AGERON, L'Algérie Algérienne de Napoléeon 3 à De-Gaulle, Edition Sindbap, 1980, p206.

34 - Jean –Charles JAUFFERET, op.cit, p728.

35- محمد العربي الزبيري ، الثورة الجزائرية في عامها الأول ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (ب.س.ط)، ص 127.

36 - A.Georges, L'Armée et ses D rames, Edition la table ronde, Paris, p.206.